

روح المعاني

البعض لما فيه من التكلف وذهب بعضهم للتخلص من الايراد الى الاستثناء من قوله تعالى :
أذاعوا به وروى عن ذلك ابن عباس وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري
واتخذ القاضي أبو بكر الآية دليلا في الرد على من جزم بعود الاستثناء عند تعدد الجمل الى
الأخيرة .

وعن بعض أهل اللغة أن الاستثناء من قوله سبحانه : لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وعن أكثرهم
أنه من قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه واعترضه الفراء والمبرد بأن ما يعلم بالاستنباط
فالأقل يعلمه والأكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ماذكروه يقتضى ضد ذلك وتعقب ذلك الزجاج
بأنه غلط لأنه لايراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر
وإذا كان ذلك فالأكثر يعرفونه ولا يجهله الا البالغ في البلادة وفيه نظر وبعضهم الى جعل
الاستثناء مفرغا من المصدر فما بعد إلا منصوب على أنه مفعول مطلق أى لاتبعتموه كل اتباع
إلا اتباعا قليلا بأن تبقوا على إجراء الكفر وآثاره إلا البقاء القليل النادر بالنسبة إلى
البعض وذلك قد يكون بمجرد الطبع والعادة وأحسن الوجوه وأقربها الى التحقيق عند الإمام
ماذكره أبو مسلم وأيد التخصيص فيما ذهب اليه الانباري بأن قوله تعالى : ومن يطع الرسول
الخ وقوله سبحانه : أفلا يتدبرون القرآن يشهدان له وفى الذى بعده بأن قوله D : وإذا
جاءهم أمر من الأمن أوالخوف الخ وقوله جلا وعلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك يشهد له
وأنت تعلم أن قرينة التخصيص بهما غير ظاهرة والفاء في هذه الآية واقعة في جواب شرط
محذوف ينساق اليه نظم الكريم أى اذا كان الأمر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وتقصير
الآخرين في مراعاة أحكام الاسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا .

ونقل الطبرسي فى اتصال الآية قولين : أحدهما أنها متصلة بقوله تعالى : ومن يقاتل فى
سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما والمعنى فأن أردت الأجر العظيم فقاتل ونقل
عن الزجاج وثانيهما أنها متصلة بقوله D : ومالك لا تقاتلون فى سبيل الله والمعنى إن لم
يقاتلوا فى سبيل الله فقاتل أنت وحدك وقيل هى متصلة بقوله تعالى : فقاتلوا أولياء
الشیطان ومعنى لا تكلف إلا نفسك لا تكلف إلا فعلها اذ لا تكلف بالذوات وهو استثناء مقرر لما
قبله فان اختصاص تكليفه E بفعل نفسه من موجبات مباشرته صلى الله عليه وسلم للقتال وحده
وفيه دلالة على أن ما فعلوه من التثبيط والتقاعد لا يضره صلى الله عليه وسلم ولا يؤاخذ به
وذهب بعض المحققين إلى ان الكلام مجاز أو كناية عن ذلك فلا يرد أنه مأمور بتكليف الناس
ككيف هذا ولا حاجة الى ما قيل بل فى ثبوته فقال : انه E كان مأمورا بأن يقاتل وحده أولا

ولهذا قال الصديق لرضى الله تعالى عنه في أهل الردة : أقاتلهم وحدي ولو خالفتني يميني لقاتلتها بشمالي وجعل أبو البقاء هذه الجملة في موضع الحال من فاعل أي فقاتل غيلر مكلف إلا نفسك وقرره لا تكلف بالجزم على أن لانا هية والفعل مجزوم بها أي لا تكلف أحد الخروج إلا نفسك وقيل : هو مجزوم في جواب الأمر وهو بعيد ولا تكلف بالنون على بناء الفاعل فنفسك مفعول ثان بتقدير مضاف وليس في موقع المفعول الأول أي لا تكلفك إلا فعل نفسك لا أنا لا تكلف أحدا إلا نفسك وقيل : لا مانع من ذلك على معنى لا تكلف أحدا هذا التكليف إلا نفسك والمراد من هذا التكليف مقاتله وحده وحرص المؤمنين أي حثهم على القتال ورغبتهم فيه وعظمتهم